خطاب جلالة الملك

خلال مأدبة العشاء التي أقامها جلالته

تكريماً لضيفه الرئيس الحاج أحمدو أحيجو رئيس جمهورية الكامرون

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

سيدي رئيس الجمهورية :

لاشك أننا وشعبنا وأصدقاءنا الحاضرين هنا مسرورون جداً لاستقبالكم، إن ما قلته وما سأقوله لن يكون عبارة عن أسلوب في التعبير، ولا خطاباً بروتوكولياً، ولكنني سأحاول التعبير لفخامتكم عن الفكرة التي كونتها عن شخصيتكم من خلال عملكم.

إن كل رئيس دولة يتصف بمجموعة من الصفات، غير أنه ينبغي أن يتوفر الفكر الثاقب لإبراز الصفات التي تميزه عن الآخرين.

وإني أستشعر يا سيادة الرئيس، ولو على تواضعكم في ذلك، تحليل البحث عن الحلول النوعية في شخصكم.

وأقول، إذا ، إن ميزة رئيس الجمهورية المتحدة للكامرون هي نوعية الحلول وكما ترون يا صاحب الفخامة ويا أيها السادة ليس من اليسير على المرء عندما يجد نفسه غداة الإستقلال أمام وطن مجزإ جغرافياً ودينياً وقبلياً أن يجمع كل هذا تحت ظل وطنه ويجند هذا الوطن بهدوء وبعيداً عن الهيستيريا الجماعية لينصرف إلى تشييد بلاده، وليس من السهل كذلك ألا يُصغي المرء لكبار المفكرين فيما وراء البحر الأبيض المتوسط وفي إفريقيا من أولائك الذين لا يرتاحون إلا للحلول التي خرجوا بها والتي يندم الآخرون عليها عندما يبادر إلى استغلالها أولائك الذين صنعوها.

لقد حاولتم كل هذا يا فخامة الرئيس وفعلتموه، لقد فعلتموه بشكل حسن، بدليل أن الكامرون المعاصر يمثل بلداً محترماً مستقراً متوازناً، وأن رئيس جمهورية الكامرون المتحدة ذائع الصيت في إفريقيا بأجمعها ويحظى بالإعجاب والمحبة.

ومن المؤكد سيدي الرئيس أن أمثال الرئيس أحيجو هم الذين يسيرون إلى الأمام ويتحدون العواصف وذلك بدراية عملية محكمة ونظرة صائبة إلى الأحداث.

إن الرئيس الكاميروني كان يضطلع بالمسؤوليات السامية كي يتعلم وهو في عُنفوان الشباب ويختار وهو كامل النضج، وإن الأقدار الإلهية شاءت أن يرى المسلمون بلاد الكامرون وهي تزدهر وتسير إلى الأمام وتعمل لما فيه خير أفريقيا وسمعة الأفارقة، وإني أدعو الله العلي القدير أن يكثر من أمثالكم لصالح قارتنا.

إن قارتنا الإفريقية ستحتاج إلى وقفة تأمل، لأن كل عمل وكل ثورة بغير وقوف للتأمل مآلها الفشل، بل البقاء في طي النسيان، وإن الجميع في حاجة إلى وقفة للتأمل ثم الوثوب من جديد ومواجهة المشاكل في جوهرها مع إيجاد الحلول الملائمة لها.

هذا أيها السادة، جرد ملخص بما فيه الكفاية، وهو غير كامل إلا أنه ينمّ في العمق عن إخلاص سيادة رئيس جمهورية الكامرون كما أشعر به وكما أراه.

سيادة رئيس الجمهورية

اسمحوا لي أن أدعو لكم بطول العمر وبالصحة والنجاح، وأن أطلب من العلي القدير أن يحفظكم ويرعاكم لبلادكم، وإني لأقدم متمنيات صادقة كي تكون جمهورية الكامرون المتحدة دائماً في طليعة افريقيا فيما لدى القارة من تعقل واستمرار وعبقرية.

أصحاب الفخامة :

أرجوكم أن تقفوا معي تقديراً لسيادة رئيس الجمهورية

جواب الرئيس الكامروني

لقد تأثرت تأثراً كبيراً للكلمات التي عبرتم عنها إزاء شخصي وحيال بلادي؛ ولكوني تمكنت من الإستجابة لدعوة جلالتكم الكريمة وكان ذلك بالنسبة لي مثار ارتياح كبير؛ إنني وأنا على أهبة مغادرة مملكتكم المغرب بلد الشمس الغاربة وملتقى العالم؛ أستسمحكم يا صاحب الجلالة أولا أن أعبر لكم عن امتناني الحار لكل العناية واللطف ولكل الإهتمام الذي لم تفتأ جلالتكم تحوطونني به منذ وصولي؛ وكذلك لكل الإستقبال الحار والكريم والأخوي للشعب المغربي؛ وإنني لأشكركم من كل قلبي يا صاحب الجلالة وأشكر شعبكم.

وأريد أن أقول لجلالتكم كم كان سروري عظيماً وسرور الوفد المرافق لي أن يتاح لنا من الرباط إلى مراكش ومن مراكش إلى أكدير تقدير هذه الأرض التي تتجمع فيها كل المزايا؛ فالقدم والتقاليد تمتزج فيها وهي ذات جمال رائع؛ تظهر عليها ديناميكية سهر الشعب المغربي بكثير من الشرف من أجل إشعاعها تحت القيادة الرشيدة لملك عظيم؛ وان جوها المطبوع بأخلص تقاليد الضيافة الأفريقية والعربية التي ميزت مقامنا والتي تنبعث من انتماء بلدينا المشترك وتجذرها العميق في أرضنا الأفريقية العتيقة لتشهد بالروابط الأخوية والودية الرائعة التي تجمعنا والتي تأكدت بمجرد استرجاع بلدنا لسيادته الدولية سنة 1960 عن طريق إقامة علاقات دبلوماسية.

وإننا إذ فعلنا ذلك مدفوعين بالمصالح العليا لشعبينا لم نزد على أن كرسنا ما كان مسجلا في التارخ والجغرافية. وصحيح أن المغرب قد أقام خلال قرون عبر الصحراء علاقات مع أفريقيا المنتمية إلى ساحل الصحراء وفيافيها ومن بينها الكامرون الذي يمثل الإمتزاج الإنساني والثقافي لقارتنا والذي يشكل جزءاً لا يتجزأ منها بموقعه الجنوبي.

وسواء كان الأمر يتعلق ببعض المظاهر التقليدية لحياتنا الروحية أو بالمشاكل الدولية فمن المدهش أن نلاحظ أنه منذ اختفاء العهد الاستعماري رأينا تضاعف المناسبات السعيدة للاتصالات وللاستشارات المشتركة بين المغرب والكامرون تسفر عن تعزيز مستمر للتفاهم المشترك وللصداقة بينهما.

صاحب الجلالة :

إننا نتتبع باهتمام وتقدير نجاح تصميمكم العظيم المتمثل في قيادة المغرب للتحكم في مصيره وقيادته بانسجام كبير مع تقاليده المطابقة لواقع العالم الحديث والمستجيبة لديناميكية تاريخه.

إن نتائج تنفيذ مخططاتكم المتوالية لتظهر بارزة لتؤكد أن المغرب قد حصل على نتائج مدهشة في إنجاز أهدافه الأولية؛ فلقد أعطى اندفاع مدهش للفلاحة في إطار إصلاح زراعي جريء؛ وأقيمت بالتدريج تجهيزات أساسية صناعية عصرية ومتوازنة؛ وبذل مجهود واسع للتكوين تطلب تعميماً واسعاً للدراسة وتطورت محاربة الأمية؛ وبالأخص تكوين الإطارات الوطنية؛ كما استثمرت الطاقة السياحية وأصبحت الصناعة التقليدية في اندفاع كبير لتؤكد نفسها كمحرك ممتاز لتطوير الإقتصاد التقليدي.

صاحب الجلالة :

إننا نتتبع باهتمام و عطف عملكم للتشييد الوطني؛ لأن مصير مساعيكم ونوعية سيركم وغاية نشاطكم يمثل تشابهاً مع تلك التي توجه نشاطنا الخاص.

ونتيجة لذلك فإن المغرب والكامرون المتعلقين تعلقاً متيناً باستقلالهما حرصا في كل وقت على أن يتحكما تحكماً كاملا في مصيرهما؛ وذلك لأنه لا يمكن في الحقيقة أن يكون هناك مصير بالنيابة؛ وهكذا فعلى غرار المغرب الذي حقق ودافع وحافظ ومتن وحدته الوطنية منذ مدة طويلة تحت رعاية ملوك الدولة العلوية وعلى الأخص تحت رعاية والدكم العظيم جلالة المغفور له محمد الخامس؛ هذه الوحدة الوطنية التي ستبقى جلالتكم مشخصاً لها وضامناً لها؛ فعلى غرار هذا المغرب اعتمد الكامرون في نشاطه من أجل تشييده الوطني على البحث المتواصل وتعزيز وحدته الوطنية التي تتيح وحدها انبثاق ضمير وطني أي وحدة الشعب والشعور واقتسام الشعور والتضامن في السير نحو تتبع نفس المصير.

وكما قلتم فإن التحكم في المصير هو مكافحة التخلف وضمان السعادة مع الكرامة لكل مواطن وبالأخص للطبقات الأكثر حرماناً في الأمة.

وبنفس الإهتمام يقوم الكامرون في إطار روح ليبرالية بانطلاقة اقتصادية واجتماعية مطابقة لمفهومه الخاص الذي هو مفهوم الليبرالية المغربية كما حددتها جلالتكم بمناسبة عيد الشباب؛ والتي ستتيح الوصول إلى نتائج متعادلة؛ أي رفع مستوى حياة شعبينا إلى أقصى حد عن طريق تعبئة القوات الحية للأمة في اندفاع وطني يحتفظ بحماسه على الدوام ومن أجل عدالة اجتماعية أعمق؛ أي توزيع عادل لمنافع التشييد الوطني اعتباراً للإمكانيات الإقتصادية للبلاد.

وهذا الإلتقاء في التفكير ليس فيه ما يدهش؛ فالواقع أن بلدينا قد وجدا نفسيهما بمجرد حصولهما على الإستقلال يواجهان نفس الواقع؛ تجهيزات أساسية اقتصادية داخلية تجاوزتها الأحداث كانت مستوحاة ومقولبة من الخارج بواسطة أصحاب رؤوس الأموال الأجنبية أعطت اهتماماً بعيداً كل البعد عن اهتماماتنا الأساسية ووجدت مجتمعاً دولياً تسيطر عليه أنانية متعنتة كانت أصلا في انعدام العدالة في التبادل الإقتصادي الدولي يراد من ذلك الوضع دفع افريقيا لتقوم بدور المزود بالمواد الأولية .

ولقد كان إذن من الطبيعي أن تلتجيء الدولة إلى تصحيح ذلك الوضع؛ لأنه في المرحلة الحالية لتطور بلدينا لم تكن لنا تقاليد طويلة في الوفر؛ فهل يمكن أن يكون الأمر غير ذلك ؟

لقد كان من المهام الأولى التي تقع على كاهل السلطات العمومية هو استيحاء توجيهات جديدة كفيلة بإنعاش مساهمة متضاعفة للوفر الوطني في الإستثمارات التي كانت حتى وقت غير طويل تأتي وتراقب خصيصاً من الخارج؛ وذلك لكي نسهر على أن لا يكون في ذلك مساس بثروات افتراضياتنا التي لا نهاية لها.

وإن إرادة جلالتكم القوية في مضاعفة دخل الشعب المغربي وإمكانيته وتوفير العمل لأبنائه ومضاعفة الفرص لتشغيل كفاءته كما عبرتم عنها جلالتكم منذ سنة 1973 بمناسبة عيد العرش لتلتقي في جوهرها بنفس اهتماماتنا الخاصة.

وإن الكامرون الذي يتقاسم مع المغرب نفس مبادىء الإستقلال والكرامة لم يفتأ من جهته يعمل في المنظمات الدولية من أجل ظهور عالم أكثر عدالة متشبث بالسلام والحرية والتسامح طبقاً لروح ميثاق الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الأفريقية.

وسواء كان الأمر يتعلق بالوضع في الشرق الأوسط وبالأخص بالمشكل الفلسطيني أو بالكفاح ضد الإستعمار أو التمييز العنصري أو بمساعدة حركات التحرير وبالمقاطعة الإقتصادية للأقطار العنصرية في الجنوب الإفريقي فإن المملكة المغربية والجمهورية الموحدة للكامرون قد وجدا نفسيهما جنباً إلى جنب؛ ويعبران عن ارتياحهما لتوافق وجهات نظرهما التي تعد ضمانة فعالية نشاطهما المبذول والمنسق سواء في حظيرة الأمم المتحدة أو في إطار منظمة الوحدة الإفريقية.

ومن ثم فلا يوجد ما يشكك في كون ضرورة تنشيط هذا التعاون الذي وجد أسسه وأصوله تلقائياً في هذا العمق العتيق للثقافة الافريقية الغالية علينا التي أثرتها وعززتها عوامل خارجية عرفنا كيف ندمجها بتكييفها حسب نبوغنا الخاص لتستجيب للتعهد العلني الذي تعهدنا به في حظيرة منظمة الوحدة الأفريقية بإنعاش الوحدة والتضامن بين دولنا وتنسيق مجهوداتنا لإنبعاث عهد السلام والعدالة الضروريين لتقدم سكاننا.

إن زيارتنا للمغرب والمحادثات التي أجريناها والإتفاقيات التي وقعناها لتعكس الإرادة المشتركة لبلدينا في إقامة وتطوير الصداقة والتعاون الموجود بيننا .

وإن المجرى السعيد الذي تسير عليه علاقات بلدينا ستجد أسسها لا في مظهر التعلق المشترك لشعبينا بمبادىء الإستقلال والكرامة وحرية التطور فقط؛ بل أيضاً في التعبير عن شعورنا بالمصلحة الحيوية التي تحتم على الأقطار الإفريقية أن تعزز بصفة أكثر تضامنها في هذا العالم.

وبهذه المناسبة يطيب لي على الخصوص أن أشير إلى الدور الذي كان لجلالتكم ولا يزال والذي أعطاكم رؤيا تنبئية عندما صرحتم في الأمم المتحدة، وآتي هنا بنص تصريحاتكم :

«إن المسؤولية الجماعية للدول الفقيرة إذا ما وضعت في إطار سياسي جدي يجب أن تتمكن من تأكيد نفسها في تصريح مستوحى من مبادىء مؤتمر باندونغ، ويعتمد على ثلاث نقط أساسية : التسامح والمساندة المتبادلة والصبغة العالمية».

وهذه المبادىء الثلاثة التي واكبت الاحتياجات الإنسانية في كل العصور تحمل في طياتها النواة التي ازدهرت بعد عقد ما أصبح متفقاً على تسميته بـ (روح الرباط) التي بفضلها اكتشفنا قدرة جديدة على التجاوز الذي أتاح لمنظمة الوحدة الإفريقية أن تساهم مساهمة فعالة في تقوية التضامن الإفريقي.

صاحب الجلالة :

ومن خلال إقامتنا القصيرة التي كانت غنية ومفيدة، ومن خلال هذه الزيارة التي قمنا بها لبلادكم، نحمل بتأثر ذكريات حية لشعب قديم وفتي في نفس الوقت، ويساهم في نفس الوقت في التاريخ وفي الحياة العصرية ويبدو تحت ديناميكية ملكه قد إندفع في طريق التقدم دون أن يفقد روحه.

وهذه الإقامة كانت أيضاً بالنسبة لنا خاصة غنية بالدروس في كل الميادين التي أمكن لنا أن نستخلصها بالنظر إلى كل ما أمكننا رؤيته وسماعه في الرباط وفي مراكش التي يمتزج تاريخها عبر القرون بتاريخ البلاد كلها، ومن مراكش إلى أكدير التي تحولت إلى رماد منذ 13 سنة ثم انبثقت منها مدينة عصرية جديدة طافحة بالآمال.

فلتتكرم جلالتكم بقبول عبارات كل امتناني.

أصحاب الفخامة :

أيها السادة :

أدعوكم إلى أن تشتركوا معي في رفع نخبنا لسعادة وصحة جلالة الحسن الثاني ملك المغرب وكذلك لازدهار الشعب المغربي، ولتعزيز الصداقة والأخوة بين المملكة المغربية والجمهورية المتحدة للكاميرون.

ألقيت بالرباط

الثلاثاء 4 جمادى الثانية 1394 — 25 يونيو 1974